بسم الله الرحمن الرحيم

منذ اللحظة الأولى لبداية التاريخ البَشرى على هذه الأرض ، ومع مهبط أبينا آدم وأُمنا حوَّاء ، ومع مهبط إبليس وجنده فى يوم لا يعلم تحديده على وجه اليقين إلا الله علام الغيوب ، منذ ذلك التاريخ الضارب فى القِدَم ، وضع الله - مالك هذا الكون - أمام آدم وزوجه ومَن يتناسل منهما من الذُرِّية إلى يوم القيامة نظاماً كونياً عاماً للحياة ، مهما قَلَّ أفرادها أو كثروا . فقال جَلَّ ثناؤه : ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً ، فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (١) .

فالحياة التى بدأت فى ذلك الزمن البعيد إنما هى حركة وسير ، وقد أخبر الله آدم وحوَّاء ، ومعهما إبليس ، بأنه وضع لهذه الحياة نظاماً عاماً ، وأنَّ هُدىً منه سيأتى لا محالة ينظم حركة الحياة كلها - صغيرها وكبيرها - هدىً يرسم خطاً أخضر إيذاناً بالسير فى الاتجاه السليم ، ويرسم خطاً أحمر يقضى بالتوقف ، دفعاً للأخطار التى تنجم عن السير فى هذا الاتجاه المعوج .

وأعلمهم أن السعادة الحقَّة إنما هى ثمرة لازمة لاتباع هداه : ﴿ **فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ ، أما مخالفة هُدَاه فيترتب عليها الشقاء الدائم : ﴿ **أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ .

ويتكرر هذا البيان مرة ثانية فى قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ**

---

(١) البقرة : ٣٨ - ٣٩

يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

الهدى الذى وعد الله بإتيانه فى آيتى البقرة السابقتين ، زيد هنا وضوحاً ، هناك هدىً ، وهنا رسل يَقُصُّون آيات الله ، فالله هو واضع الهدى أو النظام العام لحركة سير الحياة عبر التاريخ كله ، منذ بدأ ، وإلى أن تقوم الساعة ، والوحى الأمين هو الذى يُبلِّغ الرسل هدى الله ، والرسل تُبلِّغ الناس ذلك الهدى المنظم لحياة البَشر فى كل زمان ، وفى كل مكان .

والنتيجة هى هى : سعادة أبدية لمن يتبع الهدى ، وشقاء أبدى لمن يخالفه .

ويتكرر البيان مرة ثالثة فى قوله جَلَّ ذكره : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (٢) .

والهدى الذى وعد الله بمجيئه وأمر باتباعه كثيراً ما يُعبِّر عنه القرآن بالإيمان والعمل الصالح ، وهما كلمتان جامعتان لمعان شتَّى من أمور الإيمان ، وضروب العمل الصالح ، وللإيمان والعمل الصالح شأن عظيم فى الهدى الإلَهى ، وعليهما يقوم صَرْح الحياة الفاضلة العزيزة الكريمة .

شأن عظيم فى حياة الفرد ، وشأن عظيم فى حياة الجماعة المؤمنة .

ففى حياة الفرد يكفى أن نشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً ﴾ (٣) .

---

(١) الأعراف : ٣٥ - ٣٦ (٢) طه : ١٢٣ - ١٢٦ (٣) طه : ١١٢

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وفى حياة الجماعة المؤمنة يكفى أن نشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ منكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢) .

جعل الله جزاء الإيمان والعمل الصالح فى هذه الآية الكريمة مجموع ثلاثة أمور :

* الاستخلاف فى الأرض .

* تمكين الدين الذى ارتضاه للمؤمنين .

* تبديل الخوف أمناً .

إنه لجزاء عظيم ، وغايات نبيلة ، كل الشعوب والدول تجعلها نُصب أعينها منذ نشأت الفصائل البَشرية على الأرض ، وتوزع الناس فى شكل جماعات أو أُمم .

فالاستخلاف يعنى السيادة للأُمة أو الجماعة ، أو قوة السلطان والريادة وعزة الجانب .

والتمكين الدينى يعنى قوة السلطان الأدبى ، وهو فى النظم الدولية المعاصرة يعنى سيادة المبادئ التى تتخذها الدولة - أو الكتل الدولية - منهاجاً لها فى الحياة مثل النظام الرأسمالى الليبرالى الغربى والنظام الاشتراكى ، فما

---

(١) النحل : ٩٧ (٢) النور : ٥٥

أضخم الجهود المادية والمعنوية التى بذلها كل من المعسكرين الرأسمالى الليبرالى ، والاشتراكى الشيوعى على مدى سبعين عاماً ، كل منهما يروج لنظامه ، ويحاول فرضه ولو بقوة السلاح فى صراع شاق ، وعمل دءوب .

أما تبديل الخوف أمناً ، فهو غاية الغايات لدى الأُمم والكتل الدولية ، أُنشئت من أجله ترسانات الأسلحة ، ووقع التنافس المجنون فى اختراع أسلحة التدمير والبطش وأجهزة التشويش والإنذار المبكر . وكل دولة - الآن - مهما صغرت أو كبرت لها جيوش تتناسب مع حجمها وإمكاناتها ومخاوفها أو مطامعها . والغاية من هذا كله تحقيق الأمن ودفع الخطر الخارجى .

هذه الدعائم الثلاث ضمنها الله فى وعده للذين يؤمنون الإيمان الحق ويعملون الصالحات ، شريطة أن يأخذوا بالأسباب المتاحة من جانبهم : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ..** ﴾ (١) .

فالإيمان والعمل الصالح يكفل للأفراد الحياة الطيبة فى الدنيا ، والجزاء الحسن فى الآخرة .

والإيمان والعمل الصالح يكفل للجماعة العزة والكرامة فى الدنيا ، ويحميانها من الأخطار الخارجية . فلا ينال منها عدو ، ولا يزهد فيها صديق .

الفريق الذى يتبع هدى الله - الإيمان والعمل الصالح - هم أولياء الله فى الدنيا ، وأهل رضوانه فى الآخرة : ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ (٢) .

---

(١) الأنفال : ٦٠ (٢) البقرة : ٢٥٧

فريقان متقابلان . . فريق اتبع الهدى يخصه الله بألطافه فى الدارين ؛ لأنهم أولياؤه ، وهو وليهم : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ (١) .

وفريق حاد عن هدى الله فوليهم الشيطان يزج بهم فى الظلمات وما هم بخارجين منها ، لأنهم أولياءُ الشيطان ، وهو وليهم . . وهيهات هيهات أن يكونوا أهلاً لنصر الله فى الدنيا ، ولرضوانه فى الآخرة : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (٢) .

إن مدار العمل فى هذه الحياة هو الهدى الذى ذكره الله لأبى البَشر آدم وزوجه ، قبل أن تطأ أقدامهما الأرض بادئين أول حركة لحياة البَشر عليها ، فإذا قُضِىَ الأجل المسمى عند الله لهذه الحياة الطويلة ، العريضة ، العميقة ، كان هدى الله الذى أنزله للناس على ألسنة رسله الأبرار ، هو مدار الحساب من ثواب وعقاب ، فكل نفس بما كسبت فى الحياة الدنيا رهينة ، يوفيها ربها جزاء عملها ، وما الله بظلام للعبيد ، يومئذ يفترق العباد فريقين . . فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** ﴾ (٣) .

وقبل أن يكونوا فى العذاب مُحضَرين يُسْألون وهم يُساقون إلى جهنم :

---

(١) يونس : ٦٢ - ٦٤ (٢) الجاثية : ٢١ (٣) الروم : ١٤ - ١٦

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١) .

ثم ينسون ما قيل لهم وهم فى النار ، فيقولون لخزنة جهنم وهم يتألمون من عذابها : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (٢) .

ولكنهم يسمعون من الخزنة ما يغيظهم : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا بَلَى ، قَالُوا فَادْعُوا ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ * إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (٣) .

هذا هو هدى الله بدءاً ونهاية ، وما بين البدء والنهاية . إن الله خالق هذا الكون ومَن فيه ، وما فيه ، أنزل هذا الهدى ليهتدى به عباده فى كل خطوة يخطونها ، وفى كل وقفة يقفونها . وليس لهم - أفراداً أو جماعات - أن يُعرضوا عن هدى الله ، أو يضعوا لأنفسهم منهجاً غير منهجه وهداه ، وكل فرد يضبط حركة حياته على هدى الله استحق إنعام الله وتأييده ، وحلَّ له أن يستمتع بما أنعم الله عليه ، وكل جماعة تحرَّت أوامر الله ونواهيه فى كل عمل أو ترك ، فهى الجماعة الراشدة الحقيقة باستخلاف الله لها فى الأرض وبالتمكين والنصر ، وبالأمن العاصم من كل خوف . وظيفتنا العظمى فى

---

(١) الزمر : ٧١ - ٧٢ (٢) غافر : ٤٩ (٣) غافر : ٥٠ - ٥٢

هذه الحياة طاعة الله ورسوله ، وتحرى السبيل الموصلة إليه . ومَن يؤدى هذه الوظيفة طاب له التنعم بآلاء الله ، فهى مخلوقة له ومن أجله : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (١) .

تشير هذه الآية الحكيمة أنَّ ما خلق الله من النعم فى الدنيا لا يستحقه إلا أهل طاعته ، وإن زاحمهم العصاة فيها بحكم أنهم أحياء ، أما فى الآخرة فهى لهم خالصة لا يشركهم فيها أحد .

بالطاعة لله ورسوله حَلَّ للطائعين التنعم بنعم الله ، وأما العصاة الفجرة فيأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم .

والفرق بين مَن اتبع هدى الله ، وبين مَن خالفه كالفرق بين الموظف الذى حرص على أداء واجبة وراعى الله فى كل عمل يؤديه ، وبين الموظف (البلطجى) الذى لا يؤدى واجبه ويتقاضى أجراً هو سُحْت خالص ؛ لأنه لم يؤد عملاً يستحق به الأجر ، إنَّ شرط التمتع بما فى الأرض من نِعَمٍ هو مخالفة الشيطان ، ومَن خالف الشيطان وعصاه فقد اتبع هدى الله .

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ (٢) .

هذا الهدى الذى أعلم الله به أبانا آدم وزوجه حوَّاء على وجه الإجمال ساعة هبطا إلى الأرض فى بداية التاريخ البَشرى عليها ، هو هدىً ملزم وليس للعباد إهماله أو تبديله . يؤكد هذا المعنى قوله تبارك اسمه :

---

(١) الأعراف : ٣٢ (٢) البقرة : ١٦٨

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً ﴾ (١) .

وإنما كان هدىً لازم الاتباع ؛ لأنه هدى الله ، والله يعلم المصلح من المفسد : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) .

إن كل صانع يعلم أسرار صنعته وطريقة تشغيلها الأمثل ، والكون ومَن فيه وما فيه هو صُنْع الله العليم الخبير . فإذا حرص الناس على التزام هَدْيه فى الحياة صلحت الحياة وصلحوا ، وإذا أداروا لهَدْى الله ظهورهم ، وخبطوا فى الحياة خبط عشواء ، أو استبدلوا مناهج أخرى بمنهج الله وهَدْيه وأساءوا حركة تشغيل الحياة عطبت الحياة وعطبوا ، وكان أقرب تمثيل لهم بالمريض الذى فحص علَّته طبيب حاذق وحرَّر له « روشتة الدواء » مبيناً فيها مواعيد تناول الدواء ومقادير جرعاته . فإذا بهذا المريض يمزق « وصفة » الطبيب ويحرر « روشتة » بنفسه لنفسه ، وهو لا يدرى من علوم الطب شيئاً . إن النتيجة التى لا مفر منها لهذا الأحمق أن يُلْحِق الضرر الخطير بصحته ، إما باستدامة مرضه أو بزيادته ؛ لأنه لم يعمل بنُصح الطبيب الذى فحصه وحدَّد له الدواء المناسب لحالته .

هذا - ولله المثل الأعلى - تمثيل توضيحى لحالة الناس إذا أعرضوا عن هدى الله ، واتخذوا بدائل جاهلة وارتضوها منهجاً لهم فى الحياة مهما توقعوا أنها صالحة . وقديماً قال الشاعر :

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأوَّلُ ما يجنى عليه اجتهاده

إن وصف السفه إذا وصفتَ به المريض الذى مزَّق روشتة الطبيب الحاذق ينطبق على الناس إذا لم يتبعوا هدى الله الذى جاء به رسله ، وراحوا

---

(١) الأحزاب : ٣٦ (٢) الملك : ١٤

يتلمسون الهدى من مصادر أرضية جاهلة وإن حصَّلت شيئاً من العلوم ، سفيهة وإن كانت تحمل فى رؤوسها عقولاً ؛ لأنها أعملت علومها القاصرة وعقولها المحدودة فيما ليس للعلم والعقل فيه مجال !!

للعلوم والعقول فى هدى الله حدود ودوائر تعمل فيها فتصيب ، فإذا خرجت عن تلك الحدود والدوائر أتت بكل عبث وسخف ، فالله خلق للإنسان عيناً يبصر بها المرئيات ، وأُذناً يسمع بها الصوتيات ، وذَوْقاً يدرك به الطعوم ، ولن تؤدى حاسة من هذه الحواس وظيفة الأخرى . فالعين لن تسمع ، والأُذن لن تبصر ، واللسان لن يبصر ولن يسمع ، وكذلك بقية الحواس .

وهدى الله الذى أعلم به آدم وحوَّاء بأنه سيأتى ، ثم جاءت به الرسل ، هذا الهدى له مجال لا يصلح فيه غيره من العلوم والعقول ؛ لأن للعلوم والعقول مجالاتها التى أذن الله باستعمالها فيها . وحثَّ الناس على هذا الاستعمال ، ويوم اتخذ الناس من العلم والعقل بدائل عن هدى الله فشت فى العالَم مذاهب وأيديولوچيات أصابت الحياة الإنسانية بنكسات تولَّدت عنها آثار سيئة ، ظل العالَم منذ برزت تلك المذاهب - ولا يزال - كالقطعان التى غاب عنها راعيها ، ففتكت بها الشرور ، وأودت بها غوائل السوء ، وتفرَّقت بدداً فى كل المفاوز المهلكة به .

إن الإعراض عن هدى الله هو أقصر طريق إلى الهلاك وسوء المصير : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾ (١) .

---

(١) السجدة : ٢٢

﴿ فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوْا به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوْا بِمَا أُوتُوْا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ ﴾ (١) .

❊ ❊

● **مجالات هدى الله :**

من محاسن هدى الله ، ومن لطائف رحمته أنه تكفَّل ببيان ما لم يصلح لبيانه سواه ، ثم ترك المجال فسيحاً للعلم والعقل فيما للعلم والعقل فيه مقال .

والمجالات التى استأثر هدى الله بالكلمة فيها ؛ لأن سواه غير مؤهل لإدراكها ، ثلاثة مجالات ، هى :

١ - أمور العقيدة .

٢ - أمور التشريع .

٣ - أمور الأخلاق .

هذه المجالات الثلاثة لا يُسمع فيها غير النصوص المقدَّسة من كتاب الله وحديث رسوله الأمين ، وليس من حق أحد أن يقول فيها ما يخالف هدى الله . وفيما يأتى بيان موجز عن كل مجال من هذه المجالات الثلاثة . . .

❊ ❊ ❊

(١) الأنعام : ٤٤

المجال الأول : العقيدة

العقيدة الدينية الصحيحة لا طريق لها إلا هدى الله المتمثل - الآن - فى كتاب الله العزيز (القرآن) ، وحديث رسوله الكريم ، وتحصيل هذه العقيدة من ألزم لوازم الحياة الإنسانية ، تطمئن بها القلوب ، وتستقر النفوس ، فإذا فقد الإنسان هذه العقيدة أصيب بالقلق النفسى والاضطراب الفكرى .

وقد تحدَّث القرآن عن أثر الإيمان الحق فى القلوب فقال : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ، أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ (١) .

كما تحدَّث عن أثر الكفر وما ينتاب صاحبه من الضيق والتخبط فقال : ﴿ **يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ (٣) .

لذلك كانت مهمة الرسل الأولى هى بيان العقائد الدينية ، وفى مقدمتها العقيدة الإلهية ، من الدعوة إلى الإيمان بالله ، ثم توحيده ، ثم ما يجب له من صفات الكمال ، وما يستحيل من صفات النقص ، ثم الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإسلام الوجه إليه :

---

(١) الرعد : ٢٨ (٢) الأنعام : ١٢٥ (٣) النور : ٤٠

* فنوح عليه السلام قال لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

* وإبراهيم عليه السلام قال لقومه : ﴿ اعْبُدُواْ اللهَ وَاتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ... ﴾ (٢) .

* وشعيب عليه السلام قال لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ وَارْجُواْ الْيَوْمَ الآخِرَ .. ﴾ (٣) .

* وموسى عليه السلام قال لقومه : ﴿ .. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً ﴾ (٤) .

* وعيسى عليه السلام قال لقومه : ﴿ إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٦) .

* وهود عليه السلام قال لقومه : ﴿ اعْبُدُا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (٧) .

* وصالح عليه السلام قال لقومه : ﴿ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴾ (٨) .

---

(١) الأعراف : ٥٩ (٢) العنكبوت : ١٦ - ١٧ (٣) العنكبوت : ٣٦
(٤) طه : ٩٨ (٥) آل عمران : ٥١ (٦) المائدة : ٧٢
(٧) الأعراف : ٦٥ (٨) الأعراف : ٧٣

* وخاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - قال لقومه : ﴿ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ .. إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُواْ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

إن العقيدة الإلَهية كما جاءت فى هدى الله على ألسنة الرسل هى أساس الفلاح فى الدنيا والآخرة ، ومطلب جليل من مطالب القلب والروح ، وعلى هداها تقوم كل أصول الدين فى العبادات ، والمعاملات ، وفى التهذيب الرفيع والأخلاق الفاضلة . هذا بالإضافة إلى حلول فطرية لمشكلات الوجود التى شغلت وتشغل الفكر الإنسانى بدءاً من العصور البدائية ، حتى العصر الحديث ، بما فيه من ازدهار العلوم فى شَتَّى مجالات الحياة : المادية والروحية ، وعالَم ما وراء الطبيعة المحسوسة ، أو ما يسمى بـ « الميتافيزيقا » .

هذه العقيدة ، وسائر عقائد الإيمان ، ضَلَّ مَن يطلبها عن غير طريق هدى الله أو الوحى الأمين .

ومنذ القدَم ، وحتى فى عصرنا الحاضر ، اتجه طوائف من الناس لإعمال العقل فى العقائد الإيمانية ، أو عالَم ما وراء الطبيعة ، فجنح البحث العقلى بهم إلى منزلقات شديدة الخطورة ، منهم مَن أدَّى به عقله إلى الكفر والإلحاد ، ومنهم مَن ظل فى حظيرة الإيمان ، ولكنه لم يهتد إلى الحق والصواب .

والسبب فى هذا التخبط والانحدار أنهم طلبوا الشئ من غير جهته ، وكلَّفوا العقل ما ليس فى مقدرته ، واعتمدوا عليه - وحده - فى مجال هو غيرٍ مؤهَّل قطعاً لإدراكه مستقلاً عن هادٍ يهديه ، ويأخذ بيده إلى شاطئ

---

(١) سورة ص : ٦٥ (٢) فصلت : ٦

الأمان ، فكان حالهم حال مَن يتطلب فى الماء جذوة نار ، كما قال الشاعر الحكيم :

ومكلِّف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار !

وشطحات العقول فى هذا المجال يمكن إرجاعها إلى مرحلتين :

إحداهما : شطحات حدثت فى بيئات لم يكن لديها رصيد من الرسالات السماوية .

والثانية : شطحات حدثت فى بيئات لديها رصيد من الرسالات السماوية .

وها نحن أولاً نوجز الحديث عن هذه الظواهر على النسق الذى قدَّمناه . .

* * *